وتمضي الحياة بين مد وجزر

تأليف

مريم شعلال

اسم الكاتبة : **مريم شعلال**

عنوان الكتاب : **وتمضي الحياة بين مد و جزر**

سنة النشر : **ديسمبر 2023**

جهة الإصدار : **مجلة لغة الضاد الأدبية**

الاخراج الفني: **بسمة بلماني**

تصميم الغلاف : **مرح إبراهيم سلوم**

مريم **شعلال**	وتمضي الحياة بين مد وجزر

المقدمة

المقدمة الحياة لم تصفو لأحد فكل منا معرض لسيل من الخيبات ،الخذلان ،الطعنات في محطات عديدة من حياته ،وكلها تجارب تصقل الإنسان وتجعله أقل عرضة للارتطام بكل هذا .

لكنها في المقابل تمنحه ذلك النضج الذي يجعله لا يحيط به الناس كثيرا حوله فيكتفي بنفسه وقلة صادقة، فمن لم يذق مرها لم يكتسب حنكة ودهاءا وصلادة لإكمال مسيره نحو محطة النضج .

هواجس

هواجس حين يحل الليل علي تجدني ألقي بنظري بين أروقة المستقبل علي أرى نفسي أين تأخذني كبسولة الزمن ،صراع كبير يضج في رأسي ،أفكار متضاربة .

لعل أيام مستقبلي القادمة مليئة بعوض يسكن قلبي ويريح نفسي

بعد كل هذا التعب الذي ألم بي وفتك بروحي فصارت كئيبة ،بعد أن مزقتها أهوال ومصائب الماضي العديدة ثم لا ألبث أن تراودني فكرة أن مستقبلي سيكون كماضي مليئا بالفقد والألم ،موجعا بعد أن خطف عني الأقرب لقلبي : أبي وتركني منهكا ،لكني بعدها ألملم شتات نفسي وأحدثها أن القادم أجمل وأن ذلك المستقبل المجهول سيكون أجمل مادام بيد الله ،وأنه سيخبىء لي أطنانا من الفرح بعد الترح .ستغدو أحلامي حقيقة بعد أن ظننتها صارت سرابا ،سيحل العوض على قلبي بعد أن جفت أرضه ليغدو جنة ساحرة ،سيكون غدي كما أراده قلبي وأحب أن يكون زاهرا مشرقا منيرا.

أحلام وأوهام

لطالما كنت تلك الفتاة صاحبة الأحلام الوردية ذات الإرادة الفولاذية والهمة العالية ،لأسرح في مخيلتي بعيدا عن هذا العالم وأرسم أحلاما كثيرة دونتها على جدران السحب والعالية وفوق قمم النجوم المتلألأة أحدث نفسي أنما سيصير حقيقة،وسأصل إلى مبتغاي كلما أراد قلبي لأرتطم بعدها بجدران الخذلان ولي في الذراع فأصبحت عاجزة عن إكمال المسير،فتناثرت أحلامي هنا وهناك كتناثر ريش صقرغدرت به بندقية صياد ظنه أضعف من أن يرديه قتال

في ديسمبر

في ديسمبر الأحلام ،حقا يقال هذا لكن أحيانا بعض أحلامنا وأمانينا لم تبدأ بعد فقد كان عليها أن تختفي أولا ،أن تبتعد عنا بعد أن كانت قريبة منا حتى تتوهج وتأتي في أبهى حلة في بداية يناير ،فلا تبكي ولا تحزن لأن خلف كل قوة إنكسار وخلف كل صبر جبر

مولع بالكتابة أنت

شغفك بالكتابة ،تلك الإبتسامة التي ترتسم على شفاهك حين تخط سطورا يتخللها الكثير من التجارب التي مررت بها ،تلك الأنامل المخملية التي تمسك يراعا يزيدها خاتمك الذهبي رونقا وجمالا ،تقلب صفحات كتابك بين يدين مرتجفين حين يخذلك قلمك الجاف ويأبى أن يجود بكلمة تضيء بها عتمة قلبك

عذرا يانفسي

أستسمحك عذرا يانفسي القديمة أتدرين لماذا لاني بالغت في إرهاقك رغما عنك .

كنت أحاول تغييرك المرة تلو الاخرى من أجل إرضاء الآخرين حتى يجودو علي بعباراتهم المنمقة وكلماتهم الحنونة اتدرين لماذا لاني كنت أستمد من عباراتهم الجميلة وإطرائاتهم المبالغ فيها قوتي فكنت أعود مزهوا كحال الطاووس مغترا بجمال ريشه .

ظننت أني حين أغير فيك جزءا لا يبتر منك من أجل أن أكون تلك النسخة التي يحبها بني البشر سأكون سعيدة لكن كلا

نظرت في مرآتي فرأيت نسخة جديدة تبدو مثالية لكنها مغايرة لك .كسرت مبادئك ،تغيرت اهتماماتك ،قراراتك ،حتى نبرة صوتك لم تعد كما كانت صارت ضعيفة مهزوزة لانها ليست لك .

كنت يانفسي صاحبة كلمة لا تعود ان قيلت ،صاحبة مبادئء لا تتغير ،فكيف لك أن تحيدي عن طريقك المعهود

أيعقل أنك صرت هكذا تغريك بضع كلمات منمقة كالفيسفساء .تلوحين بيدك فقط مبدية عدم امتعاضك عن شيء وتدعين كل من هب ودب يملي عليك مايجب أن تكوني عليه .وكأنك نسخة منه .

لا يا عزيزتي كوني كما أنت .نسخة فريدة فمايضرك أن تحيدي عن القطيع مادمت مبادئك صالحة لكل زمان حطومكان فالاحتشام والحياء والطيبة كلها صفات ألانثى الراقية

اشتياق

نحن لا نملك سلطة على قلوبنا حين نشتاق ياعزيزي ،مؤلم ذلك الشوق حين يندفع بقلوبنا آخر الليل لمن أصبح تحت التراب ،رفقا بقلوبنا أيها الوجع حين نلمح طيفا لعزيز على قلوبنا فيجتاحنا وابل الذكريات فنتمنى لو كان بامكاننا العودة للماضي حيث دفىء الذكريات لكن هيهات ،فلا تستهن بألم الفقد فهو أشد ألما من كسور العظام .

ولا بلهيب النيران التي تشتعل بقلوبنا حين سماع صوت من فقدناه

كل واحد فينا يخفي ذلك الوجع ليبتسم بصمت مخبرا الجميع أنه بخير وأنه قد تجاوز تلك النغزات المؤلمة في صدره لكنه كل ليلة يحدث الله بشعور الشوق ولوعة الفراق فيصب عليه ماء الصبر على قلبه لينهض هذه المرة صباحا وهو يمارس حياته بجزء مبتور الآن

تساؤلات

لا أعرف ماذا أقول في لحظات كهذه عندما يعجز اللسان عن الكلام ولا يبقى إلا القلم يخطها ليعبر عن جرح إن لم أقل جراح كبيرة عميقة ،ولو كنت أعرف لنطق لساني وأخرج مافي جعبته ،لكن ها أنا أعبر بطريقة القلم والورق في لحظة ينسى كل واحد منا إسمه ليبحث عن إسم آخر لكي يطلقه على نفسه لو قالوا لي إختاري إسما لك ،لقلت ما إسمي ؟ وما كان إسمي .

كيف أكمل الحياة وكيف يكون الحال ؟ وأين ستقودنا الأيام بعد أن مزقتنا نوائب الدهر ومعضلاته .

إنها الآمال التي تعلقت في غصن الأوهام وإختارت بين السقوط في بحر التيهان أو البقاء على شجرة الأحلام .

أما عني فقد نذرت على نفسي أن أبني سلما نحو حلمي مهما بدا بعيدا

أرسم طريقي نحوه مهما كان الامر صعب المنال

تائه ...غارق

لا أعلم أين أسير بعد أن تهت في قافلة الصحراء .ظمآنا بعد أن إرتشفت ملح هذه الحياة وأنهكني حر وجفاف أيامها ،لم يسعفني الحظ كبقية القوافل التي أغبطها العثور على ماء وحتى ينابيع ملئت بها جوفها فصارت خضراء بعد أن أنهكها الجفاف بعد أن كانت قاحلة بورا.

أما عني فقد سرت دون دليل يرشدني لماء الحياة فكنت كالراكب سفينة دون مجداف ،أطؤ أماكن عاتمة دون نور فأظل تائهة غارقة بين بحور الظلام .

ليتني قبل أن أمتطي جوادي وأخطو خطواتي نحو رحلتي كنت قد أعددت العدة لذلك لكني لم أكن بصاحب فراسة حتى أخطو طريقا لا أعرفا عنها شيءا .حقا أنا في متاهة وحتى ذكائي لم ينقذني لأن الطريق المنعرجة تحتاج قائدا بارعا

اللامبالاة

بعد هذا العمر لم أعد أكترث لشيء ،لم يعد يزعجني صوت ذلك الديك فوق نافذه غرفتي ذا الصوت المزعج ولا صراخ عمي عثمان كل يوم وهو يجول بين حي وحي كي يجمع البلاستيك القديم ولا حتى جدال جارتنا مع زوجها حول تكاسله عن النهوض لعمله .

صرت أكثر لا مبالاة منهم حتى أنني صرت أطفؤ منبه هاتفي مرات عديدة لانهض كما يحلو لي .متثاقلا بعد أن بقي لدوامي بضع دقائق لا تكفيني حتى لاعداد كوب شاي .حتى أمي تعبت مني فقررت أن لا توقظني ولا أن تتحدث معي عن كسلي فبعد أن صرت أخجل من تأنيبها لي يوميا .صرت اليوم لا أشعر باي تأنيب ضمير .أصحيح هذا .بلي صحيح .

لا أحد يعلم كمية المعارك التي يخوضها عقلي ليلا .لا أحد سواي يدري بذلك.أيعقل ياأمي أن تصفيني بالكسل والخمول وأنت لا تعلمين حجم تلك الافكار التي تضج بعقلي ليلا .أيعقل ذلك .

أحيانا أنهض من فراشي لأدون كتاباتي علي أنام لكن هيهات فبعد أن أصبت بخيبات ألم عديدة ،بخذلان ووجع أبى عقلي أن يدعني أعيش بأمان فهو لا يكف عن التفكير والتحليل والعمل دون توقف أرجوك ايه العقل كف عن طرح أفكارك البائسة ليلا وارحمني علي أهنأ بقسط من الراحة والنوم .

تبا لاصحاب الذكريات المؤلمة واصحاب التفكير الزائد

ليتك يا أمي تعرفين أن ابنك يظل ساهرا يفكر فيما حدث وفيما يحدث وفيما سيحدث

مراسيم الزفاف

ها قد حل اليوم المنتظر ،اليوم الذي إنتظرته منذ زمن طويل

ذلك اليوم الذي تراقص قلبي فرحا لقدومه وكيف لا يرن جرس قلبي له بعد صبر طويل .

لطالما كان قلبي يحن لرفيق روح يسنده وقت ضعفه ويهون عليه أيامه البائسة وينير عتمة ليله فكنت أدعو الله وانا على سجادتي أن يرزقني ذلك الهين اللين ,طيب الخلق والمعشر ,صاحب الدين والخلق

وها أنا قريبا سأزف لزوجي وملاذي وحصني المنيع .

سأخبره عن ليالي التي كنت أقضيها وحيدة بين جدران غرفتي أقص لها عنك يافارس أحلامي .

كنت أراك في أحلامي وأنت ذاهب للمسجد فجرا ووجهك الوضاء يشع نورا .كيف لا وأنت ذلك الفتى الذي أفنى شبابه في طلب العلم والنهل من كتاب الله .

وكيف أنك زهدت في دنياك رغم صغر سنك عكس أقرانك الذين صاروا يتباهون بارتكاب المعاصي والتفاخر بها

دعوت الله سرا منذ أن يرزقني الله زوجا عذب الصوت ،حسن الترتيل فكان لي ذلك

فهنيئا لي بصاحب الدين والخلق وهنيئا لي بأسرة أساسها متين

حين ننضج

في كل محطة من حياتك ستتغير قناعاتك ,ستدرك أن من صرخ في وجهك حقا حين رآك منكسرا هو من يحبك بصدق .

أن ذلك الذي ضحك في وجهك يوما كان صديقا زائفا ،ستدرك أن صداقتك لأمك هي أروع صداقة ،أن كتمانك لكل ما آلمك يوما كان أفضل من أن تبوح به لغيرك ،أن إختيارك للوحدة وانعزالك بعالمك الخاص بعد أسبوع حافل من التعب كان أفضل ،أن القروش التي وفرتها بدلا من إنفاقها قد نفعتك وقت شدتك .

أن الجميع يحبك وقت قوتك لكن حين ضعفك لن تجد سوى عائلتك .أن الجميع يرغب في نسختك المضيئة ولا أحد يحب عتمتك

ستدرك ذلك لكن بعد أن تنضج

فراقك يا أبي

لا أعلم لماذا كلما إقترب الليل يضج رأسي بأحداث قد مرت لكنها تركت في قلبي جراحا غائرة ،أتدري أني صرت أهرب من كل تلك الأحزان والخيبات إلى وسادتي علني أنسى لكنني أتناسى فقط .فراقك ياأبي جعلني أفقد الطمأنينة وأصبح مثل ذلك الطائر الذي حلق خارج السرب .تائها ،حائرا لا أدري أين أتجه حين غاب عني

حضنك ،كنت ذلك السند الذي كلما ملت لجأت إليه ،فأعود وكلي قوة وسعادة ،ذهبت عني يامهجة قلبي ونور عيني فاسودت الدنيا بعدك وغدت ظلمة حالكة .رحيلك جعلني عاجزة عن إكمال الدرب وحيدة مكلومة .

لكن الله ربط على قلبي ومنحني الصبر بعد فراقك ،فعزمت على أن أبقى قوية ،مؤمنة وأن لا أحيد عن الدرب الذي كنت عليه .

دعني وشأني

نحن من نمنح لبعض من الناس منزلة أكبر من منزلتهم حين نفضلهم على أنفسنا أما عني فقد جنيت الثمن ودفعت ضريبة أني كنت أمنح غيري حجما أكبر منهم .كنت أمنح كل وقتي لأعيل زوجي بعد أن تزوجت رجلا عاطلا عن العمل كان كل همه النوم والاكل .

كان آخر همه العمل ورعاية شؤون أسرته أما عني فقد كبرت وصرت بتجاعيد خمسينية رغم أني كنت عشرينيه

كان صراخه يملأ البيت عند عودتي أحمل دريهمات معدودة فلم يكف لسانه االاذع حتى تمتد يده القاسية التي لم ترحم صغري ولا يتمي كونه ملجئي الوحيد بعد وفاة أمي وأبي

منحتك ياقاسي القلب عمري وشبابي ،ألا يكفيك تعبي وتحملي مسؤولية أكثر مني حتى اني صرت مرأة في هيئة رجل حتى تركلني في كل مرة بضربات تكسر الروح قبل القلب .

تعود مساءا حاملا أحجار الدومينو تلك اللعبة التي سلبت عقلك ،لتنادي بأعلى صوتك هاتي الاكل أيتها الحمقاء فبطني يتضور جوعا ولم أعد أطيق ذلك ،أحاول الوقوف على رجلي اللتين أرهقهما التعب بعد يوم شاق قضيته أنظف وأكنس أرجاء المدرسة الابتدائية المقابلة لحينا

ذلك العمل الشاق الذي أقتات منه بضع دريهمات لاتكاد تغطي احتياجاتي لبضع أسابيع إن ام أقل أيام .

لآخر طريحة الفراش ،يلتف حولي أبنائي يبكون ،أما عن زوجي فقد صحا ضميره فحملني نحو مستوصف حينا لاتلقى العلاج .لاتعافى بعدها بايام

استيقظت صباح ورفضت أن أذهب للعمل أن أبقى في منزلي وأمارس حياتي كبقية النساء هنا أخبرت زوجي أني ربة بيت ولست ملزمة بالعمل داخلا وخارجا .هذه المرة كنت صارمة وكانت نبرتي توحي بالصرامة .

ليلبس نعله ويعود مساء حاملا مالذ وطاب .

فادركت أنه كان علي أن أرفع صوتي عاليا واخبر زوجي أنه هو الراعي وهو المسؤول علي وعلى أولادي .

الخاتمة

لكن بالرغم من كل شيء فقد تنقضي الأيام بحلوها ومرها ،أفراحها وأتراحها ،وفي المقابل تنتقص من عمر الإنسان أياما لن تعودا

فرفقا بنفسك ياابن آدم وإجعل الصبر دواء لدائك

الفهرس

المقدمة1

هواجس2

احلام واوهام3

في ديسمبر4

مولع بالكتابة انت5

عذرا يا نفسي6

اشتياق7

تساؤلات8

تائه غارق9

الامبالاة10

مراسيم الزفاف11

حين ننضج12

فراقك يا ابي13

دعني وشاني14

الخاتمة15